

الحلقة الثانية  
قصص السيرة

# القصص الدينى

عبد الله وامنه

عبد محمد جودة السحبار

٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ \* ثُمَّ  
جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ \* ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً ،  
فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً ، فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً ،  
فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ، ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ ،  
فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ .

( قرآن كريم )

تذَكَّر عبدُ المطلبِ أَنَّه نذَرَ يوْمَ كَان يَحْفَرُ زَمْرَدًا هُوَ  
وَابْنُه الْحَارِثُ : لِئَنْ وُلِدَ لَهُ عَشْرَةُ ذُكُورٍ حَتَّى  
يَرَاهُمْ ، لَيْنَحْرَأَنَّ أَحَدَهُمْ لِلَّهِ عِنْدَ الْكَعْبَةِ ، وَهُؤُلَاءِ قَدْ  
اَكْتَمَلُوا عَشْرَةً ، فَوَجَبَ عَلَيْهِ أَنْ يُوفَّى بِنَذْرِهِ ،  
فَطَلَبَ أُولَادَهُ ، وَكَانَ أَكْبَرُهُمُ الْحَارِثُ ، وَأَصْغَرُهُمْ  
عَبْدُ اللَّهِ ، وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ أَحَبُّ أُولَادِهِ إِلَى قَلْبِهِ ،  
فَالْتَّفَتَ إِلَيْهِمْ وَقَالَ :

— نَذَرْتُ أَنْ أَذْبَحَ أَحَدَكُمْ لِلَّهِ إِذَا وَهَبَ لِي عَشْرَةُ  
ذُكُورٍ ، وَهَا أَنْتُمْ قَدْ اَكْتَمَلْتُمْ عَشْرَةً ، وَإِنِّي أَحَبُّ أَنْ  
أُوفَّى بِنَذْرِي .

فَقَالُوا لَهُ :

— أُوفِّ بِنَذْرِكَ ، وَافْعُلْ مَا شَاءْتَ .

قال ليختار من بينهم من يذبحه :  
— ليأخذ كل واحد منكم قدحا ، ثم يكتب فيه  
اسمه ، ثم أتنونى به .

كان العرب حينئذ إذا أرادوا أن يفعلوا شيئاً  
يضربون بالقداح ، والقداح : عidan من خشب  
البَقْسِ نحتت وملست ، وجعلت سواء في الطول ،  
يكتب عليها « افعل » أو « لا تفعل » أو ما  
يشاءون أن يقرعوا عليه ، وكانوا يذهبون إلى هبل ،  
وهو صنم يعبدونه : ثم يطلبون من الحاجب —  
ويطلّقون عليه « السادن » — أن يختار قدحاً من  
القداح ، فإذا خرج القدح المكتوب فيه « افعل »  
كانوا يفعلون الشيء ، أما إذا خرج القدح المكتوب  
فيه : « لا تفعل » فكانوا لا يفعلون ما نهوا عنه .  
ولما كان عبد المطلب يريد أن يقرع بين أولاده ،  
ليختار منهم من يذبحه ، أمرهم أن يكتبوا أسماءهم  
على القداح ، فلما فعلوا قدموها إليه .

فذهب عبد المطلب إلى الكعبة ، والناس خلفه يذكرون ندرة ، وما عزم على أن يفعله . وتقديم من سادن هيل ، وقدم إليه القداح ، فلف السادن يده بقمash ، وجىء بشوب أبيض ، وبسط بين يدي السادن ، وأمسك بالقداح تحت الشوب ، ومد يده ، وأخرج قدحًا ، فإذا به قدح عبد الله .

وساد سكون عميق ، وامتدت أعناق الناس ، واتسعت العيون . كان على عبد المطلب أن يذبح عبد الله أحب أبنائه إليه . لم يُحجم عبد المطلب بل تقدم ، وأخذ عبد الله بيده ، وأخذ السكين ، ثم ذهب به إلى إساف ونائلة ، وهما صنميان كان العرب يذبحون عندهما ؛ ونام عبد الله ورفع عبد المطلب السكين ليذبحه ، وإذا بر جال قريش يُقبلون ويقولون :

— ماذا تريدين يا عبد المطلب ؟

— أذبحه .

- والله لا تذبحه أبداً ، لِئن فعلتَ هذا لا يزالُ  
الرجلُ مِنَا يأتِي بابِنِه حتى يذبَحَه ، فما بقاءُ الناسِ  
على هذا !

وقال أخواز عبد الله :

- إنَّ كَانَ فِدَاؤُه بِأَمْوَالِنَا فَدِينَا .

وقال الناس :

- لا تذبَحْه ، وادْهَبْ بِهِ إِلَى عَرَافَةَ ( منجمة ) ،  
وسلُّها ، فَإِنْ أَمْرَتُك بذبَحِه ذبَحْتَه ، وَإِنْ أَمْرَتُك بأمرِ  
لَك وَلَه فِيهِ مَخْرُجٌ قَبْلَتِه .

وخرجُوا إلى العرافة ، حتى إذا بلغُوها ، قصَّ  
عليها عبدُ المطلب خبرَه وخبرَ ابنِه ، وما أرادَ به ،  
ونَذَرَه فيَه ، فقالتْ :

- كَم الدِّيَةُ فِيْكُمْ ؟

والدِيَةُ هِيَ عَدْدُ الْجَمَالِ التِّي كَانَ يَدْفَعُهَا أَهْلُ  
القاتلِ إِلَى أَهْلِ القَتْلِ إِذَا تَصَاحَّوْا ، فَقَالُوا :  
- عَشْرُ مِنَ الْإِبْلِ .

قالت العرافة :

— ارجعوا إلى بلادكم ، ثم قربوا صاحبكم ، وقربو عشرة من الإبل ، ثم اضربو عليها وعليه بالقِداح . فإن خرجت على صاحبكم ، فزیدوا في الإبل حتى يرضى ربكم ، وإن خرجت على الإبل فانحرروا عنها ، فقد رضى ربكم ، ونجا صاحبكم .

عاد عبد المطلب وأبناؤه ومن خرج معه إلى مكة ،  
 وذهبوا إلى سادن قريش ، ليقتربوا بين عبد الله  
 والإبل ، ووقف عبد المطلب عند هبَل يدعُوا الله أن  
 يُنقذ ابنه ، وتقدم عبد الله وعشر من الإبل ،  
 وضرب السادس بالقداح ، فخرج القدح على عبد  
 الله ، فاستمر عبد المطلب في دعائه ، وزادوا عشرة  
 من الإبل ، فبلغت الإبل عشرين ، ثم ضربوا  
 بالقداح ، فخرج القدح على عبد الله ، فزادوا  
 عشرة من الإبل ، فبلغت الإبل ثلاثين ، واستمر عبد  
 المطلب يدعُوا الله ، ثم ضربوا فخرج القدح على  
 عبد الله ، ثم لم يزالوا يضربون بالقداح ، ويخرج  
 القدح على عبد الله ، فكلما خرج عليه زادوا من  
 الإبل عشرة ، حتى ضربوا عشر مرات ، وبلغت

الإبل مائة ، وعبد المطلب قائم يدعُو ، ثم ضربوا فخرج القدح على الإبل ، ففرح الناس وصاحوا :  
— قد انتهى رضا ربك يا عبد المطلب .

فقال عبد المطلب :

— لا والله حتى أضرب عليها ثلاث مرات .  
فضربوا بالقداح على الإبل وعلى عبد الله ، وقام عبد المطلب يدعُو ، فخرج القدح على الإبل ، ثم عادوا الثانية وعبد المطلب قائم يدعُو ، فخرج القدح على الإبل ، ثم عادوا الثالثة فضربوا بالقداح ، فخرج القدح على الإبل ، فاطمأن عبد المطلب إلى أن الله قد رضي عن فداء عبد الله بعائمة من الإبل .

ونحرت الإبل ، وتركت للناس والطيور والوحش يأكلون منها ، لا يمنعهم عنها أحد .

كان عبد الله جيلاً ، حتى إن نساء قريش كنَّ  
 يتمنين الزواج به ، وكان في وجهه نورٌ يتألأً ،  
 وأرادت امرأة أن تتزوجه ، فقد حزرت أن لهذا  
 النور شأنًا ، فعرضت عليه أن يتزوجها ، وأن تعطيه  
 مائةً من الإبل ، ولكنه أبى ؛ كان ذاهباً مع أبيه إلى  
 وهب بن عبد مناف بن زهرة ليزوجه من ابنته آمنة .  
 دخل عبد المطلب وابنه عبد الله على وهب ،  
 وقال عبد المطلب : إنه جاء يطلب آمنة لابنه .  
 فوافق وهب على تزويج آمنة من عبد الله ، فقد  
 كان عبد الله وسيماً ، وكان في مصاهرة بنى هاشم  
 شرف عظيم .

وَمَكَثَ عَبْدُ اللَّهِ عِنْدَ آمِنَةَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، وَكَانَتْ  
 هَذِهِ عَادَةُ الْعَرَبِ إِذَا تزَوَّجُوا فِي بَيْتِ أَهْلِ الزَّوْجَةِ .  
 وَفِي الْيَوْمِ الثَّانِي خَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ مِنْ عِنْدَ آمِنَةَ ، وَمَرَّ  
 عَلَى الْمَرْأَةِ الَّتِي عَرَضَتْ عَلَيْهِ أَنْ تَتَزَوَّجَهُ ، وَأَنْ  
 تُعْطِيهِ مائَةً مِنَ الْإِبْلِ ، فَلَمْ تَحَدُّهُ ، وَلَمْ تَعْرِضْ عَلَيْهِ  
 النِّوْرَاجُ ، فَعَجَبَ عَبْدُ اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ ، وَقَالَ لَهَا :  
 - لِمَاذَا لَا تَعْرِضِينَ عَلَى النِّوْرَاجِ ؟

فَنَظَرَتْ إِلَيْهِ طَويِّلاً ، ثُمَّ قَالَتْ :

- أَيْ شَيْءٍ صَنَعْتَ بَعْدِي ؟

فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ :

- تزوجْتُ آمِنَةَ بَنْتَ وَهْبٍ .

فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ فِي حُزْنٍ :

- رأيتُ نورَ النبوةِ فِي وَجْهِكَ ، فَأَرْدَتُ أَنْ يَكُونَ  
ذَلِكَ فِيَّ ، وَأَبِي اللَّهِ إِلَّا أَنْ يَجْعَلَهُ حَيْثُ جَعَلَهُ .  
لَمْ يَكُنْ مُقْدَرًا أَنْ تَأْتِيَ هَذِهِ الْمَرْأَةُ بِرَسُولِ اللَّهِ ، بَلْ  
كَانَ مُقْدَرًا أَنْ تَحْمِلَ خَيْرَ أَهْلِ الْأَرْضِ ، آمِنَةً بَنْتَ  
وَهْبٍ .

تأهَبَ عبدُ اللهِ للخروجِ إلى الشَّامِ ، فِي قافلَةٍ مِنْ  
 قوافلِ قريشِ تَحْمِلُ تجَارَاتٍ ، فَدَخَلَ عَلَى زوجِهِ  
 آمِنَةَ يَوْدَعُهَا قَبْلَ الرَّحِيلِ ، كَانَ يُعِزُّ عَلَيْهِ أَنْ  
 يَفَارِقُهَا ، وَلَمْ يَكُنْ مَعَهَا أَكْثَرُ مِنْ أَشْهُرِ أَحْبَبَهَا فِيهَا  
 وَأَحْبَبَتْهُ ، وَلَكِنْ كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَخْرُجَ لِلتَّجَارَةِ ، كَمَا  
 يَخْرُجُ أَقْرَانُهُ مِنَ الشَّابَابِ . إِنَّهُ ابْنُ سِيدِ قَرِيشٍ ،  
 وَلَيْسَ مَعْنَى ذَلِكَ أَنْ يَكُنْ فِي مَكَّةَ دُونَ أَنْ يَعْمَلَ ،  
 فَالنَّاسُ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ لَا يَحْتَرُمُونَ إِلَّا الْعَامِلِينَ ،  
 وَيَكْرَهُونَ الْفَارَغِينَ الَّذِينَ يَكْثُرُونَ فِي مَكَّةَ لِلَّهِ وَ  
 وَاللَّعْبِ .

اهتَمَتْ قَرِيشٌ بِأَمْرِ القافلَةِ ، فَإِنَّهَا تَخْرُجُ  
 بِتَجَارَتِهِمْ ؛ الْعَبِيدُ يَحْمِلُونَ الْبَضَائِعَ ، وَيَضْعُونَهَا عَلَى  
 ظَهُورِ الْجَمَالِ ، وَالْحَمَيرُ مُحَمَّلَةٌ بِالْجَلْوَدِ وَالشَّعِيرِ ،

والرجال يذهبون ويحيطون ، والنساء واقفاتٌ يُودّعنَ  
المسافرين . وخرج عبد الله وسارت القافلة ناحية  
الشام ، وآمنة تودع زوجها ، وفي صدرها  
اضطراب ، وفي عينيها دموع .

وبلغت القافلة غزّة ، ونزلت بسوقها ، وبدأت  
المقايسة . كان العرب يعطون التجار الرومان جلودَ  
الصحراء ، وشعير الطائف ، وفضة بنى سليم ،  
ويأخذون منهم العطور والحلوى والتواابل .

وانتهت الرحلة ، وفي أثناء العودة مرض عبد  
الله ، ودخلت القافلة المدينة ، فقال عبد الله :

— أنا أختلفُ عند أخواتي بنى عدى بن النجّار .

كان أخواه في المدينة ، فمكث عندهم ،  
 واستأنفت القافلة سيرها ، حتى إذا دخلت مكة ،  
 سأله عبد المطلب عن ابنه في لهفة :

— أين عبد الله ؟

فقالوا له :

— مريض عند أخواله بالمدينة .

وبلغ آمنة مرض زوجها ، فقلقت . كانت تُحِبُّه ، وكانت تنتظر عودته ، ولكنهم عادوا جميعا ، وتخلف عبد الله !

وأرسل عبد المطلب ابنه الحارث إلى المدينة ، ليعود بأخيه ، فلما وصل إليها وجد عبد الله قد مات .

وبلغ آمنة موت زوجها ، فحزنت عليه ، وزاد في حزنهَا ، أنه كتب على ابنها الذي تحمله في بطنهَا ، أن يَشِبَّ يتيما .

ولكن الله سبحانه وتعالى كان يَحْوِطُ ذلك الْيَتِيمَ برحمته ، ويكلؤه بعين رعايته ، ويهديه إلى أقوم السُّبُلِ ، ويعده لأمر جليل الخطر .

« ألم يجدركَ يتيماً فآوى ؟ ووجدكَ ضالاً فهدى ؟  
ووجدكَ عائلاً فأغنى ؟ » .